ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

# صورة الجزائر في المسلسلات الأمريكية: عمق السيناريو ودلالات السياق

# *Algeria's Image in American Series: Depth of Script and Context Implications*

علي سردوك

جامعة 8 ماي 1945، قالمة (الجزائر)، serdouk.ali @univ-guelma.dz

**تاريخ الإستلام**: 15/ 01 / 2022 **تاريخ القبول**: 08/ 05 / 2022 **تاريخ النشر**: 13/ 05 / 2022

**ملخص:**

تهدف هاته الدراسة إلى تسليط الضوء على المسلسلات الأمريكية التي تطرقت في سيناريوهاتها إلى الجزائر، واستخلاص طبيعة الصورة المنقولة عن الجزائر والجزائريين، مع السعي لربط تلك الصورة مع السياقات التاريخية والسياسية لزمن إصدار المسلسل. والمقال في بعده العلمي، يقدم مؤشرات لما يمكن من خلاله فهم العلاقة الإعلامية بين الغرب والشرق وتداعياتها استنادا للأبعاد المختلفة للنص أو الخطاب.

**الكلمات المفتاحية**: الإرهاب؛ الجزائر؛ الصور النمطية؛ العرب؛ المسلسلات؛ المسلمون؛ الولايات المتحدة الأمريكية.

***

**Abstract**:

This article aims to highlight the American series that touched on Algeria in their scenarios, and to draw the nature of the image transmitted from Algeria and The Algerians, while seeking to link that image with the historical and political contexts of the time of the series' release. In its scientific dimension, the article provides indications of what the media relationship between the West and the East can be understood and its implications based on the different dimensions of the text or discourse.

**Keywords:** *Algeria; Arabs; Muslims; series; stereotypes; terrorism; USA.*

## I. مقدمة

قبل دخول الألفية الثالثة، لم يكن حضور الجزائر في الأفلام والمسلسلات الأمريكية مألوفا، بالرغم من إنتاج العشرات من تلك التي تتناول المنطقة العربية والإسلامية، اختلف اتجاه التغطية فيها بين الإيجابي والسلبي، مع طغيان نسبي للصور المسيئة للعرب والمسلمين. إذ يحصي الباحث جاك شاهين مثلا أكثر من 900 عمل سينمائي أغلبها مسيء للعرب والمسلمين بطرق مختلفة (Shaheen, 2003, p. 172).

بعيدا عن الإطار العربي الإسلامي، أصبح تناول الجزائر أكثر شيوعا في الأعمال الدرامية الأمريكية بعد العشرية السوداء، بل أنّ كل المسلسلات التي تطرقت في سيناريوهاتها إلى الجزائر والجزائريين أنتجت خلال الألفية الثالثة. وفي غياب الإحصائيات الرسمية، تقدّر بعض المصادر ضحايا تلك العشرية بأكثر من 200000 جزائري بريء نتيجة الأعمال الإرهابية الإجرامية التي قادتها الجماعات المتطرفة بشكل مكثف خلال تسعينات القرن الماضي (Peyroulou, 2006, p. 6). لذلك كان من المنطقي أن تصبح تلك الجرائم مصدرا خصبا لسيناريوهات المسلسلات الأمريكية مع مطلع الألفية الثالثة متفاعلة مع سياق سياسي وأمني دولي جديد تولّد بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، حيث أصبح تواجد الدول العربية والإسلامية في الأعمال التلفزيونية أكثر شيوعا من ذي قبل. فمسلسلات: السهم (Arrow)، والسيدة الوزيرة (Madam Secretary)، والناجي المعيّن (Designated Survivor)، كلّها تناولت قضايا الإرهاب في الجزائر من منظورات مختلفة وبكثافة مختلفة أيضا، وبعيدا عن نظرية المؤامرة فقد مالت تلك المعالجة نسبيا نحو تشويه صورة الجزائر وسمعتها خاصة وأن تلك الأعمال أنتجت خلال الألفية الثالثة، أي في الفترة التي شهد فيها الوضع الأمني في الجزائر استقرارا ملحوظا بعد سن قانوني الوئام المدني (1999) وميثاق السلم والمصالحة الوطنية (2006). ومجرد إقران الجزائر بالفعل الإرهابي من خلال تلك الأعمال الفنية، من شأنه تشويه صورة الدولة والشعب في ذهن الجمهور العالمي خاصة وأن هجمات الحادي عشر من سبتمبر قد أدت إلى تزايد ظاهرة الإسلاموفوبيا.

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على المسلسلات الأمريكية التي تطرقت في سيناريوهاتها إلى الجزائر، واستخلاص طبيعة الصورة المنقولة عن الجزائر والجزائريين باستخدام الملاحظة العلمية، مع السعي لربط تلك الصورة مع السياقات التاريخية والسياسية لزمن إصدار المسلسل.

## أولا: الجزائر والإرهاب في المسلسلات الأمريكية

ساهمت العشرية السوداء في الجزائر، وهجمات سبتمبر بدرجة أقل، في جعل الجزائر بلدا قرينا بالإرهاب في الكثير من المسلسلات الأمريكية المنتجة خلال الألفية الثالثة. ففي الحلقة الرابعة عشرة من الموسم الثاني لمسلسل السهم(Arrow) الذي انطلق بثه سنة 2013، ذكرت "سارة" بطلة الجزء (أدت الدور الممثلة كايتي لوتز) في إحدى حواراتها، أنها قد تعرضت لحادث انفجار قنبلة في الجزائر العاصمة. تم ذكر الجزائر مرة واحدة فقط في المسلسل، ومع ذلك كان الارهاب قرينا بها.

الإرهاب حاضر أيضا في الحلقة الثانية من الموسم الثالث من مسلسل السيدة الوزيرة (Madam Secretary) سنة 2016، حيث تسعى وزيرة الشؤون الخارجية "إليزابيث فولكنر ماكورد"، التي أدت دورها الممثلة تيا ليوني، إلى إنقاذ الجزائر من حرب أهلية محتملة أين يسيطر دكتاتور متعجرف على سدة الحكم فيها بمساعدة قائد أركان الجيش، ويرفض رفضا قاطعا التخلي عن السلطة بينما يهدد المتمردون المتجمعون في تندوف بالزحف نحو العاصمة، وبعض الجماعات الإسلامية المتطرفة تريد استغلال الوضع لتحقيق مآربها. وحسب المسؤولين الأمريكيين في المسلسل: "العالم لن يرضى بسوريا أخرى على أعتاب أوروبا".

الممثل مارشال مانيش، أدى دور الرئيس الجزائري "أمان حداد"، وربما لم يكن اللقب مختارا بصفة عشوائية، لأنه مطابق للقب رئيس منتدى رؤساء المؤسسات الجزائرية السابق (علي حداد) الذي يعتبر من

أكثر الشخصيات نفوذا في عهد الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة. في تلك الحلقة، ألقى الرئيس حداد القبض على البروفيسور "كامل أركون" (اسمه يحيلنا مباشرة إلى المفكر الجزائري محمد أركون) الموعود بتولي السلطة، ويقرر إعدامه بتهمة ارتكاب جرائم ضد الدولة أمام مرأى وزيرة الخارجية التي بدت مرعوبة من وحشية الجريمة.

ظهر الرئيس الجزائري في المسلسل كشخصية قاسية، متعجرفة وغير مؤدّبة، تم وصفه في المسلسل "بالاندفاعي، والهذياني، وغير المستقر نفسيا"، لديه إحدى عشرة زوجة (وهو تعدد مرفوض دينيا وقانونيا في الجزائر)، ومع ذلك يخوض علاقة غرامية مع وزيرة الشؤون الداخلية "سليمة تنغور" (الممثلة نازانين نور). ورغم كل ذلك كانت الحكومة الأمريكية متفائلة بانتقال ديمقراطي للسلطة في الجزائر على يد أمان حداد يضمن الاستقرار في البلاد، ويُطوّق أطماع جماعة "حزب الشهيد" الإرهابية في الجنوب.

تبرم وزيرة الدولة اتفاقية مع المتمردين حتى يتمكن قائد أركان الجيش الجزائري "مراد شيرات" (الممثل آرثر دربينيان)، من تولي زمام الحكم والشروع في الإصلاحات المخطط لها، وإرسال الديكتاتور المخلوع إلى محكمة الجنايات الدولية في لاهاي، وإنقاذ الجزائر من فوضى طويلة الأمد.

في هذه الأثناء، يحاول زوج إليزابيث ماكورد، "هنري ماكورد" (الممثل تيموثي دايلي)، إنقاذ دير القديس جبريل بمدينة جانت - غير الموجود في الحياة الواقعية - وتماثيله القيمة، المهددة من قبل تنظيم "حزب الشهيد" الإرهابي الذي استهدف سابقا متحف التوارق بمدينة تمنراست، غير الموجود أيضا على أرض الواقع. لم تشهد الجزائر هجوما إرهابيا على التراث الفني التاريخي، ولكن تلك المشاهد في المسلسل تحيلنا مباشرة إلى ما حدث للتحف الفنية والتاريخية في العراق وسوريا من قبل تنظيم داعش.

كسابقة في تاريخ التلفزيون والسينما الأمريكية، فقد تم استخدام اللهجة الجزائرية في المسلسل وهذا دليل على أن صنّاعه قد استعانوا بجزائريين لكتابة سيناريو الحلقة. من جهة أخرى، الكثير من الأحداث والشخصيات يمكن إدراك أصلها الواقعي بسهولة، فشخصية أمان حداد تجسد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في جانبه الدكتاتوري، بل أن صناع المسلسل قد أدرجوا عبارة "أنا الجزائر" في السيناريو، وهي نفس العبارة التي قالها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في منتدى "كرانس مونتانا" بسويسرا سنة 1999. كذلك، فإن تركيز المسلسل على دور قيادة الجيش الجزائري في الحياة السياسية لطالما كان من بين أكثر القضايا التي أسالت الحبر منذ الاستقلال سنة 1962، وعاد هذا الجدل للبروز مجددا بعد حراك 22 فيفري 2019، لذلك اعتبر رواد مواقع التواصل الاجتماعي المسلسل بمثابة توقع لمستقبل الجزائر أين لعب قائد أركان الجيش السابق أحمد قايد صالح دورا فعالا من أجل إجبار الرئيس عبد العزيز بوتفليقة على الاستقالة في 02 أفريل 2019. وبالنسبة لربط الجزائر بقضايا الإرهاب، وهو أمر شائع في السيناريوهات الأمريكية كما ذكرنا سابقا، فالمسلسل أكّد على تمركز الجماعات الإرهابية في الجنوب الجزائري، ويبدو أن هذا الموقع الجغرافي أصبح أكثر تداولا منذ احتجاز جماعات إرهابية لرهائن من عدة جنسيات (من بينها الأمريكية) بتيقنتورين في جنوب الجزائر سنة 2013، والتي لاقت صدى إعلامي وسياسي كبيرين في الولايات المتحدة الأمريكية.

لا يمكن إنكار بعض الجوانب الإيجابية عن الجزائر في المسلسل، كتطلع الشعب الجزائري إلى الديمقراطية، لكن المسلسل ساهم على صعيد آخر في تشويه صورة المسؤولين الجزائريين، وربط الجزائر نمطيا بالإرهاب. كما ركز السيناريو على إظهار الولايات المتحدة الأمريكية في ثوب بريء ونبيل من خلال سعيها المستمر لإرساء الأمن والاستقرار والديمقراطية في دول العالم، وهو ما لم يظهر من خلال تجاربها السابقة في العراق وأفغانستان والفيتنام. وحتى محاولة إظهار الجانب الإنساني للولايات المتحدة الأمريكية وسعيها للإنقاذ التراث الثقافي العالمي غير دقيق تماما، فقد تسبب الجيش الأمريكي أيضا، مثله مثل الجماعات الإرهابية، في

إلحاق الضرر بالكثير من المواقع الأثرية والثقافية والدينية في العراق كنتيجة للعمليات العسكرية هناك (CEMML, n.d.).

في سنة 2016 أيضا، انطلق بث مسلسل الناجي المعيّن (Designated Survivor) الذي أثار الكثير من الجدل في وسائل الإعلام الجزائرية، بعدما تناولت الحلقة الرابعة من الموسم الأول للمسلسل بعنوان "العدو"، قصة خيالية عن إعلان الرئيس الأمريكي "توم كيركمان" (الممثل كيفر ساذرلاند) الحرب على الجزائر، بعد تلقي معلومات عن تورّط تنظيم إرهابي هناك يدعى "الصقر" في الهجوم الذي استهدف مبنى الكابيتول، وهو التنظيم الذي يتخذ من جنوب الجزائر موقعا له على غرار تنظيم "حزب الشهيد" في مسلسل السيدة الوزيرة.

عكس مسلسل السيدة الوزيرة، فلمسلسل الناجي المعين نظرة إيجابية اتجاه القادة الجزائريين على رأسهم الرئيس "بشارة" باعتباره حليفا للولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهاب. ولكن إن كان الجيش الجزائري مفتاح لحل الأزمة في مسلسل السيدة الوزيرة، فهو غير موثوق به في مسلسل الناجي المعين إذ يضم في صفوفه بعض المتطرفين.

الملاحظ أن الاهتمام بالتفاصيل لم يكن موفقا في سيناريو الحلقة، أبرزها الألقاب المختارة، فلقب الرئيس الجزائري "بشارة" أو لقب قائد الجماعة الإرهابية "نصّار" تعتبر أقرب لألقاب الشرق الأوسط منها لألقاب الجزائر أو المغرب العربي.

أبرز إيجابيات الحلقة أنها ناهضت، من خلال بعض مشاهدها، أعمال العنف المرتكبة ضد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية على خلفية الهجوم الإرهابي. وأكدت في مشهد آخر على أن الجرائم الإرهابية لا تمت للإسلام بصلة، فعندما قال حاكم ولاية مشيغان: " المسيحيون واليهود لم يهاجموا مبنى الكابيتول، ولم يرسلوا طائرات إلى برجي التجارة، أما المسلمون فبلى"، ردّت عليه مستشارة الرئيس إميلي رودس (الممثلة إيطاليا ريتشي): "بل قل المتطرّفون منهم، وكن على يقين أننا لن نكون أكثر أمانا باضطهاد الأبرياء".

وكما جرت العادة في الكثير من الأعمال السينمائية والتلفزيونية الأمريكية، حاول المسلسل إظهار الجانب الإنساني للحروب الأمريكية، وقلق الولايات المتحدة الأمريكية على حياة الأبرياء الذين سيلقون حتفهم نتيجة الهجمة الأمريكية على جماعة نصار، وهو القلق الذي لم يظهر كثيرا في حروبها الفعلية.

وتجدر الإشارة، أن المسلسل أثار موجة غضب عارمة من طرف الجزائريين عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ذهب البعض منهم إلى اتهام الولايات المتحدة الأمريكية برغبتها في شن حرب فعلية على الجزائر، ما أجبر سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية لدى الجزائر "جوان بولاشيك" بتقديم توضيحات: "أنا آسفة لأن الناس هنا مستاؤون، المسلسل مجرد خيال، والولايات المتحدة تحترم الجزائر كثيرا، فهي صديق وشريك جيد لنا. المسلسل لا يعكس رأي الحكومة الأمريكية، ولا مشاعر الشعب الأمريكي"(Lang, 2016) .

لم يكن حضور الجزائر في المسلسلات الأمريكية مرتبطا دائما بمواضيع الإرهاب، فالحلقة الخامسة عشرة من الموسم الرابع لمسلسل كيف قابلتُ أمّكما (How I Met Your Mother)، تضمنت سخرية بسيطة من الجزائريين المقيمين في فرنسا، حيث يروي بطل المسلسل "تيد موسبي" (الممثل جوش رادنور)، احدى تجاربه في فرنسا قائلا: "في 14 نوفمبر 1998، في القطار المسائي المتجه إلى مدينة مونتي كارلو، كنت في حجرة البلياردو بصدد سرقة بضعة آلاف من الدنانير لمجموعة من الجزائريين". مع إضفاء ملامح السخرية من العملة الجزائرية عند نطق كلمة "الدنانير".

بعيدا عن خطاب التشكيك، فالمقال لا يتهم المسلسلات الأمريكية بالتشويه العمدي لصورة الجزائر والجزائريين، وحتى إن تم ذلك فعلا فهو يرتبط بنوايا الصانعين أكثر من مجرد ما يشاهده المرء على شاشته. ومن جهة أخرى، الإيجابيات حاضرة في تلك الأعمال حتى وإن طغى التشويه نسبيا. وبالمقارنة مع دول أخرى، فما تعرض له الروس والعراقيون والأفغان من تشويه أكبر بكثير من وزر ما تحمله الجزائريون.

لو كان العقل البشري منطقيا، لما أثير النقاش حول دور وسائل الإعلام في تشويه صورة الشعوب والأعراق. شئنا أم أبينا، فالإنسان ميال للتعميم بطبعه، من خلال إسقاط سلوك شخص معين في ظروف معينة على شخص آخر في ظروف مختلفة (Sion, 2004, p. 86). بمعنى آخر، قد يتحول الفعل الإرهابي المرتكب من طرف الجزائريين في المسلسل الأمريكي إلى صورة معممة على باقي الجزائريين في الواقع الفعلي، وهذا واحد من أخطر تأثيرات وسائل الإعلام. ومن جهة أخرى، فخاصية التعميم لدى الإنسان تتفاعل مع الصور السلبية أكثر من نظيراتها الإيجابية، فيما يعرف بالتحيز السلبي.

يبدو أن التحيز السلبي اتجاه ما تعرضه وسائل الإعلام من معلومات هو نتيجة حتمية لميل الإنسان الفطري نحو السلبية، إذ تُظهر الأدلة العلمية أن المعلومات السلبية تهم المتلقي أكثر وتحفز ردود فعل معرفية معينة مقارنة بنظيراتها الإيجابية. وتستهلك الخبرات السيئة بشكل عام تفكيرًا أكثر من الخبرات الجيدة، لذلك يُظهر المتلقون معالجة معرفية أكثر عندما يكون مزاجهم سيئا (Hošková-Mayerová, Maturo, & Kacprzyk, 2017, p. 58). وقياسا على ذلك، فالجمهور الأمريكي مثلا قد يُكوّن صورة سلبية عن الجزائر والجزائريين من خلال مشاهد الإرهاب في مسلسل الناجي المعين، وسيكون لها وقع أكبر من المشهد الذي اعتبر فيه الرئيس توم كيركمان الجزائر حليفا استراتيجيا للولايات المتحدة الأمريكية.

عندما يسعى الساسة والباحثون إلى تقويض التأثير السلبي لوسائل الإعلام، كالإسلاموفوبيا وكراهية الغرب، عادة ما يصطدم سعيهم ذلك بحاجز يضاهي سمعة وأمن الإنسان قداسة، ألا وهي حرية التعبير. ودائما يُثار نفس السؤال: هل يجوز لنا تكميم أفواه الإعلاميين، أو إعادة صياغة سيناريو فيلم أو مسلسل ما حماية لسمعة الشعوب وتفاديا للكراهية؟

في سياق الحديث عن الكراهية، لا يمكن تجاهل الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام الأمريكية والغربية بصفة عامة في تعزيز الخوف من الإسلام لدى الشعوب الغربية، وفي تغذية الكراهية لدى بعض المسلمين جراء الآلاف من الأخبار والصور والبرامج والأفلام والمسلسلات التي تجسّدهم في صور سلبية، أبرزها يتشكل كتداعيات لعملية الخلط الذهني بين الإسلام والإرهاب. وعندما يتفاعل ذلك المحتوى الإعلامي مع نزعة التعميم والتحيز السلبي، وبعض من التطرف الديني، ستساهم وسائل الإعلام بصورة غير مباشرة في تغذية الفكر المتطرّف في العالم.

## II. خاتمة:

تطرّقت بضعة أعمال درامية أمريكية إلى الجزائر في سيناريوهاتها، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إطلاق حكم عام عن طبيعة الصورة المنقولة عن الجزائر والجزائريين من خلالها، فالمسلسلات الأربعة التي تم تناولها هذا المقال تضمنت بعض المشاهد المشوهة لصورة الجزائر والبعض الآخر كان على عكس ذلك تماما. لكن ما يمكن الخروج به كدلالة ثابتة، أن ذلك التناول كان متجانسا من حيث طبيعته استنادا إلى السياق السياسي والتاريخي لسيناريو المسلسل. فمسلسلات: السهم، السيدة الوزيرة، والناجي المعين، كلها ربطت الجزائر بالإرهاب استنادا إلى السياق الأمني الذي مرت بها الجزائر منفردة سنوات التسعينات من القرن الماضي، وضمن الإطار العربي الإسلامي عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001.

حاول المقال تقديم رؤية نقدية موضوعية للمسلسلات الأمريكية ذات العلاقة بالجزائر عكس بعض الدراسات الجزائرية والعربية التي طغت عليها نظرية المؤامرة، وهي النظرية التي تعتبر العمل الفني عاكسا للسياسات الرسمية الأمريكية واتجاهات الصانعين هناك، وهو ما لم يتم إثباته إلى حد الآن. والمقال من جهة أخرى، يقدم مؤشرات لما يمكن من خلاله فهم العلاقة الإعلامية بين الغرب والشرق وتداعياتها استنادا للسياق التاريخي والسياسي للنص أو الخطاب.

## الإحالات والمراجع:

CEMML. (n.d.), *The Impact of War on Iraq's Cultural Heritage: Operation Iraqi Freedom*, Retrieved from The Center for the Environmental Management of Military Lands (CEMML): https://www.cemml.colostate.edu/cultural/09476/chp04-12iraqenl.html

Hošková-Mayerová, Š., Maturo, F., & Kacprzyk, J. (2017), *Mathematical-Statistical Models and Qualitative Theories for Economic and Social Sciences*, Cham, Springer.

Lang, G. (2016, Octobre 20), *L'Algérie bombardée dans une série, l'ambassadrice des États-Unis éteint la polémique*, Récupéré sur RTL: https://www.rtl.fr/actu/international/l-algerie-bombardee-dans-une-serie-l-ambassadrice-des-etats-unis-eteint-la-polemique-7785363686

Peyroulou, J.-P. (2006, Juin), Amnistie en Algérie: quand le pouvoir se reconduit dans l'impunité. *Esprit*, volume 325, numero 6, 6-12.

Shaheen, J. (2003, July), Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People, *The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science, volume 588, number* 1, 171–193.

Sion, A. (2004), *Volition and Allied Causal Concepts*, Geneva, Avi Sion.